رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن
مؤسسة المدى للاعلام والثقافة
والفنون

العدد (2) الخميس (6) آذار 2008
NO. (2) Thu . (6) March

ذاكرة عراقية

علي حسين

الاستمتاع بالماضي

فاجأنا القراء باهتمامهم ومتابعتهم للعدد الاول من ملحق ذاكرة عراقية. هذا الاهتمام اكد لنا ان الجميع يملكون ذكريات جميلة وهم يطالبوننا باستعادة جزء من هذه الذكريات.. فالجميع حتما يريد ان يعيش في جنة المحكي من الماضي وذلك لان الماضي بما فيه من نعيم او جحيم جزء من ذاكرة عاشها انها هذا الشعب الذي يواجه اليوم هجمة شرسة للتخلي عن هذا الماضي.

الماضي وعلاقته بالناس هو محور اهتمام هذه الذاكرة وهو الذي دفع الكثيرين إلى الاهتمام بالعدد الاول منه وابداء عدد من الملاحظات لتقويته وتطويره.

كثير من الاصدقاء والقراء قالوا لنا ربما مجاملين انهم احبوا هذا الملحق ولعلنا نعرف لماذا احبوه؟ فكل من فيه ينتمي إلى الذكريات الجميلة.. لكننا لا نريد ان يعيش التاريخ في جنة هذه الذكريات اننا نريد ان يعترف بما فيه ويتصالح معه.. فالماضي وحده وذكرياته الجميلة لا يمكن لهما ان يأخذنا إلى المستقبل اقوياء واحرار.. فاشراك الحاضر في مراجعة اوراق الماضي وتفحصها سيحيلنا حتما إلى هذا المستقبل الذي نرنو اليه.

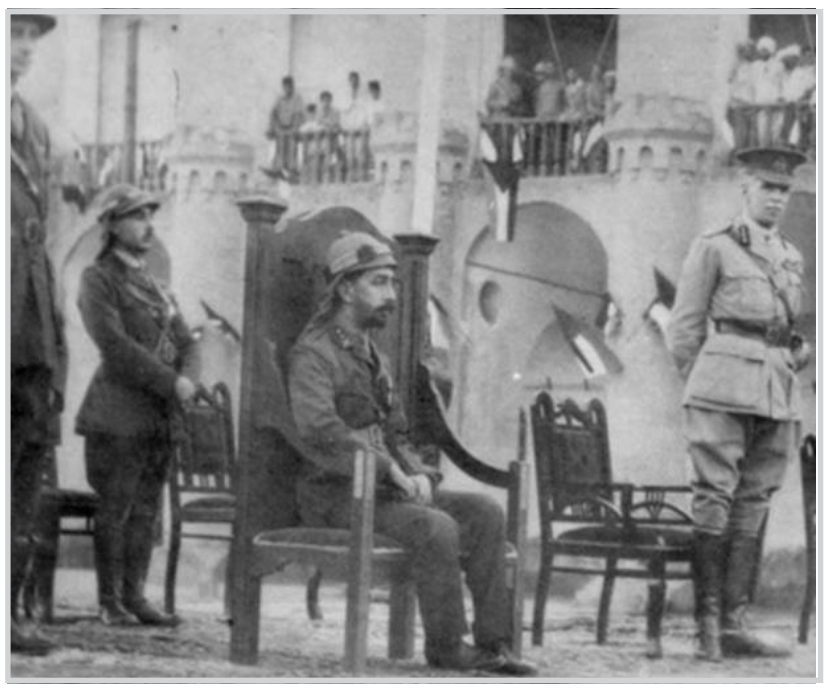

من أوراق نجدة فتحي صفوة

لماذا انتحر عبد المحسن السعدون ؟

جاء انتحار عبد المحسن السعدون يوم الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ في ظروف مفاجئة هزت البلاد من اقصاها الى اقصاها وكان له وقع أليم صادق على الشعب العراقي حديث العهد بالاستقلال المتطلع الى مستقبله السياسي بامال جسام والذي كان ينظر الى رئيس الوزراء وكفاحه الدؤوب الهادئ باحترام عظيم قد لايدانيه لأي زعيم من زعمائه السياسيين في ذلك الوقت .

وكان الشعب العراقي بسبب الظروف ونظام المجتمع وطبيعة تكوين الدولة الجديدة وازدواجية الحكم وبدائية وسائل الاعلام يجهل ما يدور وراء الستار من مناورات بين رجال السياسة وسلطة الانتداب التي كان يعز عليها ان ترى خيوط السلطة تفلت من

يديها واحدا تلو الاخر فازداد تمسكها بها حينا ثم لاتلبث ان ترخيها قليلا لتعود الى شدها من جديد .. وكانت الدولة الفتية تتجاذب مصيرها قوى متعددة فهنالك سلطة الانتداب و(الانتداب) صيغة جديدة ذكية توصل اليها دهاقنة الاستعمار في مؤتمر الصلح بباريس لتبرير استيلائهم على غنائم الحرب العالمية الاولى واقتسامها و صيغة مؤادها ان الاقطار المنسلخة عن الدولة العثمانية بقيت لفترة طويلة مهملة ومتاخرة وان شعوبها اصبحت غير قادرة على حكم نفسها بنفسها ولذلك لابد من ان تعهد عصبة الامم بادارتها الى احدى الدول الراقية المتمدنة لترعاها وتاخذ بيدها الى المستوى الذي يؤهلها للاستقلال وياله من شعور انساني نبيل وحرص على مصالح هذه الشعوب المسكينة وادراك للمسؤولية الدولية! .. ويالها من كلمة حق اريد بها باطل .. فقد صيغت صكوك الانتداب بطريقة توحي بانها تهدف الى خدمة مصالح الدول التي رضخت تحت الانتداب ولم تتطرق الى الهدف الاصلي وهو مصالح الدول التي سيعهد اليها بهذه المهمة الانسانية ولا الى اتفاقية سايكس بيكو اللااخلاقية التي تم بموجبها اقتسام الغنائم سرا يوم كانت اطرافها تتلمظ ازاء ممتلكات الدولة العثمانية وتتطلع الى اليوم الذي تضع فيها ايديها على هذه البلاد ذات الموقع الجغرافي والستراتيجي الفريد على طريق الهند وروائح النفط العبقة التي كانت تفوح من اراضيه الغنية بشدة وهنالك الملك فيصل الاول الذي كان يعمل على ترسيخ عرشه في العراق بعد ان خسر عرشه في سوريا ويحاول ان يتفادى مع الانكليز تكرار اخطائه مع الفرنسيين وان يستفيد من تجاربه السابقة ويقول المثل (من لدغته افعى يرتعد لرؤية الحبل) فلعل أي احد يستيطع الوقوف بوجه سلطات الانتداب وكم يستطيع الانتزاع منها ليستيطع الوقوف امام تيارات الراي العام وبين هذا وذاك كيف يستطيع تحقيق التوازن مع مناورات رجال السياسة ؟.

وهنالك ايضا رجال السياسة والزعماء الشعبيون والوجهاء اصحاب النفوذ التقليدي في البلد وشيوخ العشائر بانتمائاتهم المتنوعة ومصالحهم المتضاربة فمنهم الوطني الصادق الذي تعوزه الخبرة ومنهم المتمرس الذي ينقصه الاخلاص والانتهازي الذي يتاجر بالوطنية ومنهم المثقف والجاهل والكفوء والذي هو مؤهل للحكم والساذج الذي دفعته الظروف الى الامام في هذا الجو وفي خضم هذه الظروف الابتدائية الحساسة المتضاربة ظهرت شخصية عبد المحسن السعدون فريدة صافية متالقة وكان بحكم نشأته وخلفيته يختلف عن غيره من رجالات العراق في ذلك العهد من الذين كانوا يتصدرون المسرح السياسي في الدولة الفتية . فهو عربي المحتد صافي الارومة تركي الثقافة عصري النزعة نشأ في اسرة عريقة ومحترمة كانت لها الرئاسة بين عشائرها ودرس في المدرسة الحربية التركية التي كانت تحتذي الاساليب الالمانية وتستعين باساتذة من القادة الالمان وعمل ياورا او مرافقا للسلطان عبد الحميد وشهد عن كثب الاعيب السياسة وما يدور في قصر يلدزر من مناورات وما يحاك فيه من دسائس .. ثم انتمى الى جمعية الاتحاد والترقي التي كانت في بداية عهدها حزبا عثمانيا يهدف الى صيانة الدستور وحماية الخلافة ولم تكتشف النوايا العنصرية الا بعد حين .. وبذلك خبر الحياة الحزبية وشهد جوانب شتى منها ثم اصبح عضوا في مجلس (المبعوثان) يمثل منطقة المنتفك يصغي الى مناقشاته وبمجالس اقطاب الدولة وساساتها ومندوبي ولاياتها بينهم نائب شاب من اشراف الحجاز يمثل ولايته اسمه فيصل وبذلك خبر الحياة البريطانية واطلع على مناوراتها ومداوراتها وهذه كلها تجارب لم تتح لغيره من الرجال الذين كانوا يحيطون بالملك فيصل امثال السيد عبد الرحمن النقيب وياسين الهاشمي وجعفر العسكري ونوري السعيد وغيرهم كما انه لم يلتحق بالثورة العربية كما فعل بعضهم ولم تكن له بالانكليز صلة سابقة كالتي كانت لهم وكان الملك فيصل بالمناسبة لايرتاح الى اية علاقة لاحدهم بالانكليز لاتكون على طريقه وبعمله والى جانب ذلك كان الرجل نزيها فوق الشبهات تتمصل فيه السجايا العربية الاصيلة .. كريم الطبع مترفعا شديد الاعتزاز بسمعته وكرامته الشخصية والوطنية .. ويبدو انه كان قليل الكلام عزوفا عن الدعاية لنفسه معتدلا في ارائه ومواقفه .. وقد وصل الى الحكم بسهولة بسبب خلفيته العائلية والشخصية فواجه سلطة انتداب اجنبية متصلبة وملكا متحذرا وشكوكا وساسة من كل صنف ولون وشعبا فرحا بدولته الجديدة متطلعا الى الاستقلال الكامل سريع المحبة سريع الغضب .. فلما طعن في وطنيته اعتباطا واتهم في اخلاصه تجنيا .. كان الامر عنده كارثة لاتحتمل فعمد الى انهاء حياته بهذه الصورة الدراماتيكية التي حافظ بها على سمعته وكرامته ولكنه دفع حياته ثمنا لها ..

ولاشك ان انتحار عبد المحسن السعدون وهو في رئاسة الوزراء كان له اثاره المختلفة على كل من الشعب والملك وسلطة الانتداب .. فقد هز هذا الانتحار ضمير الشعب واثار نقمته على الانكليز والمتعاونين معه وهو قد احرج الملك واضعف موقفه امام الشعب وقواه امام الانكليز . اما الانكليز فقد احرجهم الامر ايضا واوقعهم في حيرة من امرهم . وقد اهتم المندوب السامي البريطاني على نشر نص رسالته او وصيته التي تركها لولده علي قائلا ((الشعب يريد الخدمة والانكليز لايوافقون)) فاثارت الرأي العام العراقي عليهم وخرجت الجماهير تهتف وتهوس (عبد المحسن ناخذ ثاره وساعة بالندن مرهونة).

وبين يدي ساعة كتابة هذه السطور قصاصة من جريدة التايمز البريطانية الصادرة في ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٩ أي بعد ثلاثة ايام من انتحار السعدون تحتوي على رسالة لمكتبها الخاص في بغداد نشرت بعنوان ((انتحار رئيس وزراء العراق)) المح فيها الى وجود اسباب اخرى غير سياسية للانتحار . وقد نقل الكاتب نص رسالة السعدون او بالاصح ترجمها ثم علق عليها يقول (ان هنالك محاولات يبذلها بعض المتطرفين لاستغلال انتحار السيد عبد المحسن السعدون لصالح سياستهم الان هنالك ايضا من اسباب ما يدعو الى الاعتقاد بما كان يقلق السيد عبد المحسن مؤخرا لم يكن قاصرا على السياسة فقط فمن عادة رؤساء الوزراء في العراق ان يتظاهروا بمستوى من الرخاء المادي وان يقيموا من الولائم ما هو على نطاق باذخ لايمكن ان تسمح به رواتبهم ..ويمضي الكاتب قائلا في مزاعمه (ان معظم العراقيين لايميلون الى تصديق ما يقال من ان انتحار السعدون كان نتيجة للكابة التي شعر بها بسبب مستقبل العراق السياسي وخاصة في وقت كالحاضر حين تبدي الحكومة البريطانية ميلا لاتباع السياسة اكثر من تحرر اتجاه العراق .. وهذا ما نشرته جريدة التايمز . واهم من ذلك البرقية السرية التي بعث بها المندوب السامي البريطاني في العراق الى حكومته يخبرها فيها بالحادث وهذه ترجمته الحرفية .. على الفور (يؤسفني كثيرا ان اخبركم ان السيد عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء في العراق قد اطلق الرصاص على نفسه في الليلة الماضية وقد قيل لي انه كان منذ مدة نتيجة للمطالب الموجهة اليه من زملائه ومؤيديه والتي كانت تتضارب مع وجهات نظره في واجباته نحو البلاد وولائه لزملائه البريطانيين .. ان وفاته خسارة عظيمة للبلاد ولنا.

يقترح الملك ان يطلب الى ناجي بيك السويدي الاستمرار مع الوزارة نفسها . اما الناس في بغداد فقد تناقلوا على اثر الحادث اقوالا واشاعات مفادها ان انتحار السعدون كان بسبب حالة غير طبيعية من الكابة والمرض النفسي الذي كان كامنا لديه وان الامر كله لم يكن يستوجب الانتحار ولم ينج أي سياسي من اتهامات عنيفة يكيلها له خصومه بالحق او بالباطل وقال اخرون : فتش عن المراة وذهبوا الى ان زوجة عبد المحسن السعدون كانت تزعجه بدرجة لاتطاق وتنغص عليه حياته مما سود الدنيا في عينه وجعله يكره الحياة فعمد الى التخلص منها في لحظة ياس قاتل ولكن اذا صح هذا التاويل فما معنى رسالته الى ولده اذن ؟.

ولماذا جاءت قاصرة على الامور السياسية فقط ولم ترد فيها اشارة لو غير مباشرة الى حياته العائلية وحالته النفسية ؟.

ان الدراسات التي صدرت عن حياة عبد المحسن السعدون حتى الان —وهي معدودة —لم تتناول هذه النواحي ولم تلق عليها ضوءا كافيا (وذلك ربما باستثناء دراسة الاستاذ خيري العمري في كتاباته وحكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث) فهي عبارة عن سرد لوقائع حياة الرجل منذ ولادته الى وفاته يحتوي على كثير من المعلومات والتفاصيل دون أي تحليل لشخصية عبد المحسن السعدون ونفسيته وحياته اليومية وعاداته الشخصية وارائه في الناس والحياة وظروف انتحاره وملابساته المعقدة وبواعثه الانية والكامنة ولذلك فان معظم تلك الدراسات ليست اكثر من سيرة (رسمية) تكاد تكون خالية من الجوانب الانسانية .

حفلة في قصر الرحاب تغير قوانين مهمة

في عام ١٩٤٦ زارت بغداد الانسة ام كلثوم وغنت في عيد ميلاد الملك فيصل الثاني في حفلة تنطبق عليها كل تفاصيل الحفلات الملكية حتى ان محرر مجلة الراديو كان حاضرا في الحفل تذكر ليالي الرشيد فقارن ليالي ام كلثوم بها في ايامنا هذه يستطيع مدير الدعاية لاي مغني او مغنية ان ينشر الاضواء ويثير الكثير من الصخب على أي حفل يقيمه لكنه سرعان ما ينسى .. ولا يبقى في البال سوى تلك الليالي الملاح هذا نص المقال الذي نشر على تلك الحفلة .

شهدت بغداد ليلتين من ازهى ليالي الرشيد حينما استقلت نفحة الله للشرق ام كلثوم متن الطائرة في صباح يوم الخميس الموافق ٢ ايار قاصدة الى ارض ليلى لاحياء ليلة عيد ميلاد الملك الحبيب فيصل الثاني صاحب عرش العراق وقد كانت الحفاوة بام كلثوم في العراق احتفاء بمصر وبسيدة الفن في مصر كما كان سفر ام كلثوم لاحياء عيد ملك العراق رسالة عاطفية من القاهرة الى بغداد حملتها اكرم سفيرة للفن المصري . وقد نزلت الطائرة بام كلثوم بمطار الحبانية قبيل الظهر فوجدت في استقبالها ياور الوصي على عرش العراق الذي حياها باسم سموه الكريم ورافقها الى العاصمة في احدى السيارات الملكية حيث قصدت راسا الى القصر الملكي تقيد اسمها بدفتر التشريفات وهناك تشرفت بمقابلة جلالة الملكة الوالدة وصاحبات السمو الاميرات شقيقات جلالتها وشقيقاها سمو الامير عبد الاله الوصي على العرش الذين غمروها بعطفهم ورعايتهم . ثم ذهبت الانسة ام كلثوم الى فندق ريجينت الذي نزلت به ضيفة على الحكومة العراقية وفي المساء ذهبت الى الحفلة الساهرة الكبرى التي اقيمت بحديقة قصر الرحاب وهو مقر سمو الوصي على العرش وقد لبست الحديقة حللا زاهرة من الزينات ونسقت المصابيح الكهربائية حتى بدت كما تصفها ام كلثوم كانها قطوف دانية من فاكهة الربيع . وكانت الحفلة رسمية دعي اليها كبراء الدولة ورجال السلك السياسي وقد تفضل سمو الامير عبد الاله بتقديم الانسة ام كلثوم بنفسه الى كبار المدعوين ثم غنت ام كلثوم فارهفت لها الاسماع . غنت فسهر العراق كله ليسمعها اذ كانت الحفلة مذاعة في ارجاء العراق فكانت الوصلة الاولى (ياليلة العيد) وقد ختمتها بقول :

يادجلة ميتك عنبر وزرعك
عالعراق نور يعيش فيصل ويتهنى

ونحي له ليالي العيد فدوت الاكف بالتصفيق ودمعت العيون فرحا وابتهاجا وتاثيرا وهتف العراق كله لام كلثوم . وغنت بعد ذلك ثلاث وصلات كانت كلها استجابة لرغبات المدعوين انشدت فيها (شوي شوي) (كل الاحب اثنين اثنين) وقصيدة شوقي العذبة الخالدة التي مطلعها : سلو كؤوس الطلا هل لامست فاها واستخبروا الراح هل مست ثناياها .

ومما هو جدير بالذكر بكل فخر ان هذه الوصلة وحدها دامت ساعتين بين الاجادة والاستعادة وكانت ام كلثوم وحدها نجمة الحفلة من اول الليل الى اخره وقد لاحظ بعض المدعوين ان سمو الوصي تخلف قليلا اثناء الحفلة ومعه جلالة الملك الصغير اذ خرجا يطوفان ارجاء بغداد ليشهدا فرحة الناس بام كلثوم فلما عادا قال الامير الوصي : لو اني وزعت على كل عراقي كيسا مملوءا بالذهب لما استطعت ان ادخل السرور على قلوب اهل العراق كما فعلت بهم الليلة ام كلثوم . وانتهت الليلة بل اوشك ان ينتهي الليل والناس سكارى بسحر ام كلثوم والتحيات حولها تتناثر كالورد فهذا دولة السيد توفيق السويدي يقول لها (يا انسة من حقنا ان نقبض عليك الليلة بتهمة سرقة قلوبنا) وهذا السفير البريطاني انها مثل عظيم للسيدة وهذه الانسة نادية الشبيبي الشاعرة العراقية وابنة أخ شاعر العراق ووزير معارفها الاسبق السيد رضا الشبيبي تقول : لم اكن اشعر بانني يقظة استمع الى ام كلثوم بل كنت احس انني مستغرقة في حلم جميل من احلام الفردوس المنشود وقد قدمت لها الشاعرة في اليوم التالي قصيدة من نظمها جاء فيها :

ياربة الفن في دنيا الترانيم/ ويا حديث الملاء يا ام كلثوم/ غنى الخلائق فالاذان صاغية/ وخففي هم محزون ومهموم غني لنسمع بنت الدوح صادحة والدوح لولاك شوك جد مذموم ورتلي نغما تصبو النفوس له/ فالنفس يطربها عذب الاناغيم .

واصبح الصباح على ام كلثوم في فندق ريجينت فاذا هي مليكة الفن وجموع الشعب والهيئات الفنية والمعاهد باعلامها تهتف لها ولمصر في طرقات بغداد والكبراء والعظماء ورجال الصحافة يتوافدون على الفندق لتحيتها . وقبيل الظهر اتصل بها القصر الملكي (تليفونيا) يكيلون لها الثناء ويقول له جلالة الملك (نحن ف انتظارك على الغداء) !

وتناولت الغداء على الطاولة الملكية حيث قال لها جلالة الملك انت كنت الليلة زينة اكثر مما سمعتك في الاسكندرية وبعد ظهر اليوم نفسه دعتها السيدة حرم دولة نوري السعيد باشا الى حفلة استقبال في دارها حضرتها صفوة سيدات العراق فما ان دخلت عليهن حتى قوبلت بعاصفة من التصفيق وكانت بلبلة الشرق موضع الحفاوة والتكريم حتى اذن ببدء الحفلة الساهرة التي اقامتها حضرة صاحب العزة وزير مصر المفوض في العراق بدار المفوضية المصرية وشرفها صاحب السمو الملكي الوصي عبد الاله وامراء البيت المالك والوزراء ورجال السلك السياسي ووجوه القوم وقد اعد بدار المفوضية جناح خاص لجلالة الملكة الوالدة وصاحبات السمو اميرات العراق وكرائم العقيلات . ذهبت ام كلثوم الى دار المفوضية المصرية مدعوة ولكنها ما لبثت ان اصبحت داعية فقد كانت السيدة حرم الوزير المصري متغيبة في القاهرة فقامت ام كلثوم باستقبال المدعوين وتحيتهم وظلت تتنقل بين جناحي الرجال والسيدات . ثم كانت خير تحية لضيوف مصر ان غنت لهم (سلوا قلبي) ثم (اهل الهوى) فابدعت ما شاء لها الابداع .

وفي ختام الحفلة تقدم حضرة صاحب السمو الملكي الامير عبد الاله فقلدها بيده الكريمة وسام الرافدين كما قدم لها باسم جلالة الملكة عقدا فاخرا من اللؤلؤ بين تصفيق الحاضرين وهتافاتهم للملكين فاروق وفيصل فتقبلتها بيد الشكر والدعاء للعراق ومليكها والملكة الوالدة والوصي . وعزفت فرقة ام كلثوم السلام الملكي العراقي ثم السلام الملكي المصري وكان الفرح يفيض على وجه الوزير المصري الذي قال لام كلثوم : انها اولت بلادها شرفا عظيما . اذ ان هذه اول مرة تشرف فيها جلالة الملكة الوالدة دار المفوضية من مفوضيات الدول ومما هو خليق بالذكر ان وسام الرافدين لايمنح الا للرجال حسبما تنص عليه قوانين العراق ولهذا عدل القانون ومنحته لأم كلثوم لاول مرة في تاريخ العراق انه شرف واي شرف لام كلثوم ان تتقلد بعد نيشان الفاروق والاستحقاق السوري وسام العراق الشقيق وشرف واي شرف لمصر ان ترفع ام كلثوم راس مصر عاليا في ربوع الشرق .

راديو المصري ١٩٤٦/٥/١٨

لماذا غادر الملك والوصي الحفلة في ذروتها ؟!

ام كلثوم بالعباءة العراقية